المكتوب والمحكي كما بعض المقارنات حفاظاً على الأمانة والموضوعية فلا يحل التخيل محل الواقع.

وشكّل التواضع الثوري من ناحية أخرى سداً حاجباً، فرجال ونساء العمل السري يميلون للعمل كجنود مجهولين، وهم في طباعهم أبعد ما يكونون عن التباهي والثرثرة والمشهدية التلفزيونية. ناهيكم عن أن بعض المفاصل، قد باتوا في ذمة التاريخ، الشيء الذي ترك لآخرين، على تماس بهم، التحدث باسم تجاربهم، بتلخيص شديد سواء ارتبط ذلك بحدود معرفتهم أو كان التزاماً أخلاقياً كيلا يفتئتوا على الحقيقة.

٢) شح الكتابات التي خاضت في هذا الحقل محلياً وعالمياً، بل يمكن القول بحزم أن ليس ثمة مؤلف واحد ذو اختصاص، وما اقتنصته من عشرات الكتب والنشريات هو مجرد شظايا وأنصاف جمل بما أجبرني على عدم الإسهاب في مراجعة أو الاسترشاد بتجارب أخرى ونماذجها التطبيقية سواء عربياً أو عالمياً، وبالتالي إفراد الحيز

الأساسي، كما نوّه مقترح الرسالة، لتجربة الجبهة الشعبية، كما لو كانت الأطروحة إضافة نوعية وتأسيسية في هذا الحقل، وهذا لا بأس به أكاديمياً، بل لربما يتحول إلى ميزة.

٣) تعقيدات المقطع، فهو ربع قرن، بما فرض النبش في بطون التاريخ، فالكثير من المفردات والقرارات والمراسلات باتت في عداد الأمس، توالد عنها أو توالد بعدها الجديد، وهذا الأمس مضى منذ عقدين أو ثلاثة أو أربعة، ويشكل التاريخ دائماً مادة خصبة ومبهمة في آن، علاوة على تعدد الروايات في استنطاقه واستدعائه. بما اضطر النص بعد انجاز الجهد البحثي الأولي إلى اصطفاء المعطيات المتفق عليها "ونبذ" "المعلومات" الملتبسة أو المتشنجة دون المساس بتعدد الاجتهادات ذات الطابع النظري. فما جرى استبعاده هو "المعطيات" الملتبسة لا الآراء المتعددة.

٤) ما أصاب الساحة الفلسطينية من وهن وتفكك، وأحد مكوناتها الجبهة الشعبية، ولكن بحدة أكبر، فقد انتقلت من فصيلٍ ثانٍ بحجم يصل ٢٣ -٢٥٪ من الخارطة السياسية بقيادة كفؤة كرزماتية إلى مجرد ٤ – ٥٪ يغلب عليها التراخي وفقدان الدافعية وقصور الدينامية. فلعل رسالة من هذا القبيل تفيد الجبهة والعمل الوطني بمجمله، بل إن هذه المسألة تزداد إلحاحاً وتطلباً. وربما أن كلمة نابليون صحيحة (الهزيمة يتيمة والنصر له مئة أب) فما هي عوامل النصر وما هي عوامل الهزيمة والفشل في الموضوع المعينّ.